أرواح
جريحة
محمود عاطف عبدالفتاح
صندوق
ماتريوشكا

**صندوق ماتريوشكا**

قصة قصيرة

# أرواح جريحة

محمود عاطف عبدالفتاح

يقول أبي دائمًا أنني ما زلت صغيرًا على مشاهدة أفلام الرعب، ومنظر الدماء المتناثرة في كل مكان، والأشلاء الممزقة بوحشية، والمنتحرين بشنق أنفسهم..

دائمًا ما كان يُعنِفُني على ما أشاهده من دموية وسادية وفي بعض الأحيان مازوخية..

لم أجد حلًا لتلك الجدالات والمشكلات التي كانت تحدث بيني وبينه بسبب هذه الأفلام..

لم أستطع منع نفسي من مشاهدة هذه الكلاسيكيات المرعبة..

إنها تجري في دمي منذ صغري..

إنها نيكوتين حياتي..

إنها ما تجعل لحياتي معنى..

شق سكون الليل صوت دقات ساعة الحائط مُعلِنةً بانتصافه، وكذلك مُعلِنةً ابتداء أكثر الأوقات إثارة وتشويقًا لي..

إنها ليلة الخميس، التي أنتظرها بفارغ الصبر طوال الأسبوع، ليس من أجل النوم والراحة، بل من أجل مشاهدة أجدد وأحدث أفلام الرعب التي تُذاع على قناتي المفضلة..

انتبهت بأنني نسيت أهم شيء في جلستي تلك، كوب الفشار الخاص بي نسيته في المطبخ، من تسرُّعي نسيت أمره تمامًا..

لم تكن سوى لحظة واحدة وكان في يدي وعُدت جالسًا في موضعي المريح، الأريكة الوثيرة التي شَهِدَت وشاهدت معي الكثير والكثير من أفلام الرعب المحببة لقلبي..

انتظمَت أخيرًا دقات قلبي عندما ابتدأ الفيلم في الظهور على شاشة التلفاز..

أحيانًا، أو بشكل أدق في أحايين كثيرة لا أنتبه للوقت الذي أقضيه في مشاهدة هذه الأفلام، كثيرًا ما كنت أجلس بالأربع أو الخمس ساعات المتواصلة دون حتى التحرك قيد أنملة من على الأريكة..

حتى أنني أُجهز نفسي بكل شيء أريده لكيلا أقوم من مكاني أثناء المشاهدة..

ظللت حوالي ربع الساعة منتظرًا ظهور الشبح الذي بدأت القصة تحكي عنه في زمنهم السحيق، إنه شبح امرأة جميلة ذات العوينات الساحرة، والوجه الصَبوح ذو الأنف الصغير المدبب والفم الدقيق والذقن الرفيع، والشعر الذهبي المسربل خلف ظهرها، وفستانها الأبيض المجرور خلفها في مشهد يخطف الأنفاس..

إنها أم لفتاة ذات عشر سنين، الفتاة التي أصبحت نِقمة عليها وعلى حياتها كلها، فتاة ذات شعر أسود متفحم مناقض تمامًا لشعر الأم، وأنفها المفلطح، وعينيها الزرقاوين المليئتين بالمكر والخبث، ليست ملامح فتاة صغيرة على الإطلاق!

كانت الفتاة الصغيرة تجلس على كرسيها الصغير المخصص لها وحدها، وهذا ما أوضحته الكاميرا بادئ ذي بدء، وما إن تحركت لوجه الفتاة ظهر الحبل السميك الملفوف حولها بقوة والمقيد لحركتها تمامًا، تحمل في يدها دميتها دون ملابس،

ذات الشعر الأشقر، حاضنةً إيّاها بقوة، تشاهد الرسوم المتحركة المفضلة لديها على التلفاز، وأمها تجهز لها العَشاء في المطبخ، والطقس وقتها كان يخبر الجميع بنسيمه الرقيق الذي يُداعب الوجوه، ويلاعِب الشعور، ويفتح القلوب للابتهاج بالحياة، وكذلك البدر المكتمل في السماء بزهوٍ وفخر بأن كل شيء على ما يُرام..

تململتُ في جلستي قليلًا حتى ظننتُ بأنهم أخطأوا الفيلم وبثوا عن طريق الخطأ فيلمًا دراميًا آخر..

لكن ما إن ترجلت الأم من المطبخ حاملة في يدها صينية العَشاء..

العَشاء الأخير كما أوضحت القصة بَعد ذلك..

كالعَشاء الأخير الذي احتفل به (يسوع) مع تلاميذه، قبل أن يتم اعتقاله ومحاكمته وصلبِه، كما تخبرنا به الروايات الملفقة عنه!

انقطعت الكهرباء لوهلة بسيطة وما إن عادت ثانيةً كان المشهد قد انقلب رأسًا على عَقِب!

الصينية التي كانت تحملها الأم قد افترشت الأرض والطعام منثور في كل مكان، والأم تطفوا من على الأرض ببضع سنتيمترات فقط، وهذا ما بثته الكاميرا بادئ ذي بدء، وما إن ارتفعت الكاميرا لأعلى اندفعت الناقلات العصبية الأربع داخل رأسي: الدوبامين، والسيرتونين، والأوكسيتوسن، وأيضًا الأندورفين؛ المسؤولة مسؤولية كاملة عن شعوري بالسعادة، لأقصي حد ممكن.

فكانت الأم متدلية من حبل سميك مربوط إحدى طرفيه في حلقة معدنية في سقف الصالة، والطرف الآخر ملفوف بإحكام حول رقبتها، وبدأت تتلوى وتُلَوِّح بكلتا يديها وقدميها في الهواء بدون فائدة تُذكَر.

وبعد وهلة فارقت روحها جسدها الفاتن، التي كانت تخطِف به أنفاس أعتى الرجال قساوةً!

تحركت الكاميرا بضع ياردات جهة اليمن حتى توقفت عند ظهر الفتاة الصغيرة، التي كانت تقف بثبات أمام شاشة التلفاز وكأنها منومة مغناطيسيًا، وما إن بدأت بالالتفات للكاميرا بكل بطء حتى ظهرت نواجذها وابتسامتها الشريرة وحاجبيها الكثين المنكسرين بغضب، وعينيها الزرقاوين المرعِبتين، وشعرها الأسود المتفحم المتطاير خلفها بشكل يُخيف أعتى القلوب شجاعةً، لكني خارج هذه الحِسبة بالطبع!

*****

**بعد مرور تِسع سنوات..**

أصبحت الفتاة في سن المراهقة ذات تسع عشرة سنة، بجسدها الذي أصبح فاتنًا بشكل ملحوظ، كانت لا تخرج من بيتها إلا لهدف وحيد، ألا وهو جلب ذكر بالغ لا يتعدى الخمس وعشرون سنة، بهدف الغواية، لكنها ما تلبث إلى أن...

الأهم في كل هذا ليس ما تفعله بل ما يحدث بعدما تنتهي من نزوتها الشيطانية تلك..

تجسد شيطاني غير مسبوق، فاق كل التوقعات!

أستطيع الآن أن أهنأ بكوب الفشار الذي لا يليق أكله إلا في مثل هذه المشاهد فقط..

فهذه الحبوب تتمتع بقوى خارقة تنتهك بها حُرمة الجسد الثائر، فهي تمنع ارتفاع معدل ضغط الدم في الجسم الناتج عن مشاهدة أشياء غير مألوفة للعقل، وقد تصبح في كثير من الأحيان ضارة للعقل والقلب، لذلك كوب واحد من الفشار يستطيع إنقاذك من السكتات الدماغية..

هذه روشتة مجانية لن تجدها في أي مكان آخر!

في ليلة باردة من ليالي كانون الثاني كانت الفتاة تسير في الشارع بوتيرة أسرع من المعتاد، لا تعلم هل هذا بسبب الطقس الذي يسوء أكثر وأكثر، أم بسبب نزوتها الشيطانية تلك!

توقفت فجأة عند زاوية شارع عندما لمحت بطرف عينيها القادم نحوها، كان شاب في بداية العشرينيات، وعندما اقترب منها ابتسمت له ابتسامة خبيثة عاجلها بواحدة مثلها، ثم سارت بجانبه عائدين إلى بيتها، المكان المخصص للإلتقاء، دون أن ينبثوا ببنت شفة.

دخل الفتى من باب البيت عازمًا على فعل ما يتمناه قلبه دائمًا، كان ينتظر هذه الفرصة منذ زمن، وها قد حانت اللحظة الحاسمة.

لم تكن تحب الحديث مع ضحاياها كثيرًا، فقط كلمات مقتضبة تُنهي به أي حديث قبل أن يبدأ حتى!

دلفت لغرفتها لتبدأ بتجهيز نفسها بشكل مغري، وظل الفتى جالسًا في الصالة مُهزهِزًا قدميه بتوتر بالغ.. هذه بالفعل المرة الأولى التي يكون فيها وحده مع فتاة، أقل ما يُقال عنها أنها ساحرة الجمال.

انتظر قرابة الساعة لحين انتهائها من تجهيز كل شيء، فمهما كان ما تفعله يجب أن يكون في أبهى صوره وأحسن حال، هذه العادة التي اكتسبتها من أمها المنتحرة، أو بشكل أدق هي مَن قتلها بيديها.

سمعت صراخ الفتى آتيًا من الصالة، فأسرعت من حركاتها وركضت ناحية الصوت لترى ما يحدث، وكانت ما رأته حينها هو آخر شيء تتوقع حدوثه!

*****

إن كل مَن يدَّعون رؤية الأشباح وما شابه ذلك يعانون من سلوك الكذب القهري، أو قد تكون أوهامًا يسببها خلل في وظيفة الدماغ..

لكن لا أساس علمي لكل هذا..

كان الفتى يقف في منتصف الصالة، في منتصف نجمة خماسية حولها دائرتين بلون الدم، وهذا ما أكده ذراعه الأيمن المشقوق بشكل طولي تنز منه الدماء دون توقف، رافعًا رأسه لأعلى وعينيه تتوهجين بوهج أبيض غريب.

لاحظت الفتاة بأن هناك كيانًا آخر غيرها يتحكم فيه، اتخذت وضعية الهجوم بانحناء ظهرها للخلف قليلًا وتوجيه كلتا يديها ناحية الفتى الممسوس، ثم اندفعت تجاهه بكل قوتها، لكنها ما إن حطت بقدمها على طرف دائرة الدم حتى أصابتها صاعقة كهربائية لا تعلم من أين أتت تحديدًا، لكنها اقتربت كثيرًا من معرفة الحقيقة.

صدح في جو الشقة الخانق ضحكات شيطانية لسيدة ذات صوت رقيق حاد، ضغطت الفتاة على أذنيها من شدة الصوت، ومن ثَم بدأت بالظهور أمامها بالتجسد كشبح مرئي..

امرأة فائقة الجمال ذات شعر ذهبي تتطاير خصلاته خلفها بشكل ساحر..

إنها أمها التي قتلتها!

لم تستطع الفتاة مَنع نفسها من الغضب منها، فهي لم تُكِنّ لها طوال حياتها سوى الكره والبُغض، لم تُعاملها كفتاة صغيرة إطلاقًا بل كانت تُعاملها كأداة لجلب الذكور لكي تُطفئ نزوتها السادية.

كانت أمها تقدس زوجها لدرجة أنها قتلته دون أن تقصد ذلك، ومن بعدها لم تسامح نفسها على ما فعلت، واستقرت على استجلاب روحه – وتحديدًا في الذكرى السنوية لعيد مولِده – في جسد أي ذكر آخر بواسطة أداتها السحرية..

وهي طفلتها الصغيرة!

لم تكن طفلتها بشكل مباشر، بل هي طفلة زوجها الذي قتلته من شدة تعلقها به.

"ومن الحب ما قتل" بالفعل كما قالها الأصمعي عندما كان ينصح الشاب العاشق بالابتعاد عن معشوقته حتى مات بسبب ولَهِه.

كانت الأم لديها علم غزير بالماورائيات والخوارق وعالم الجان، حتى أنها استطاعت استحضار روح زوجها الميت في جسد أي ذكر يبلغ من العُمر خمس وثلاثون سنة، الموافق لسن زوجها بالضبط، ولم تكن تدري بالعواقب التي جنتها على يد ابنتها الشيطانة الصغيرة..

فعندما كانت تقرأ عليها طُلسم ما كانت الفتاة تتحول من فتاة صغيرة مَرِحة إلى فتاة جامدة الملامح ذات عيون فضية خالية من الحياة..

وبعد مرور عدّة سنوات باتت الفتاة الصغيرة دائمًا في حالة سكون تام، لا تأكل غير النذر اليسير، ولا تنام كثيرًا، ولم تعُد تُمارس حياتها كما كانت تفعل سابقًا، وفي ليلة من الليالي حاولت الفتاة قتل أمها وهي نائمة، لكنَّ الأم لحقت نفسها ودافعت عن نفسها فدفعت بكل قوتها الفتاة التي اصطدمت بعرض الحائط، ومن وقتها وهي مقيدة للكرسي الصغير الخاص بها!

الآن وفقط ازداد إفراز هرمون الدوبامين تدريجيًا داخل رأسي، فأضفى على جو الإثارة والمتعة والتشويق الذي أُلامِسه الآن إثارة أكبر بكثير لم أكن أتخيلها مطلقًا.

كانت الملحمة مثيرة للغاية؛ شبح عاد للظهور من أجل ردّ حقه المسلوب، وشيطانة تدافع عن نفسها من غريمتها التي كانت السبب في كل ما يحدث لها الآن!

بدأت الشيطانة في استحضار روحها بنفسها، ارتفعت قليلًا عن أرضية الصالة فاختفت معالم الفتاة وظهر أبشع وجه رأيته في حياتي كلها؛ وجه أحمر دَميم مليء بالبثور السوداء المُشبَّعة بدماء خضراء، عينين غائرتين بشكل مخيف تتلونان بالأزرق القاني، أنف مبتور تاركًا تجويفًا فارغًا، لا يوجد سوى أسنان وأنياب بارزة دون شفاه، شعرها الأسود تحول لرماد في لحظة وكساها في اللحظة الموالية شعر أحمر ناري تتطاير منه النيران في كل مكان.

رأت أمها الشبحية ما فعلته فقررت الاستعداد هي الأخرى، بدايةً أخذت الشقة في الاهتزاز ونُثِرَ جميع أثاث الشقة في كل مكان حتى أصبحت الشقة مقلوبة رأسًا على عقب، ثم همست بتعويذةٍ ما فظهرت كرات ضوئية بين يديها وبدأت بإطلاقها على تلك الشيطانة الخبيثة، دافَعت الشيطانة عن نفسها بصد هجمات أمها المتتابعة، ثم اندفعت لركن قَصي من أركان الشقة وبدأت بإخراج هي الأخرى كرات نارية من بين يديها وأطلقتها ناحية الشبح فلم تستطع الحالة الشبحية للأم التي عليها من صد طلقاتها فأصابتها في عدة أماكن متفرقة بجسدها، فخرت ساقطة على الأرض بقوة ودمائها بدأت تفترش الأرض، حاولت التلفظ بِعدّة طلاسم في آنٍ واحد، لكن الشيطانة عاجلتها بكرة نارية ضخمة ارتكزت على رأس أمها فانفجر الرأس لأشلاء صغيرة متفرقة في جميع أنحاء الشقة، لكنها لم تنتبه لِما حدث بعد ذلك!

ارتفع جسد الفتى الممسوس فوق النجمة الخماسية مباشرةً، وظل يتلوى بشدة من كثرة الألم، وشرع جسده بالتفسخ رويدًا رويدا وبدأ في التشكل من جديد في هيئة غير الهيئة التي كان عليها، وفي لمح البصر اختفى وجهه وظهر وجه شخص آخر كانت الفتاة الشيطانة لم تكن متأكدة من رؤيته مجددًا!

كان والدها العزيز!

بهيئته الرجولية ذي الشارب الكث، وعينيه المليئتان بكل عطف وحنان، وشعره الأشيب، ولحيته المشذبة بوقار رجل أضحى في بداية عِقده الثالث.

ارتخت ملامح الفتاة تدريجيًا واخضبت عينيها بالدموع وهي تنظر لوالدها في شوق وعتاب، وهو يقابلها بنظراته المعاتبة والآسفة على ما حدث لطفلته الصغيرة، وعندما هدأت الشيطانة وسكنت الشحنات السالبة التي ملأت جو الشقة رهبة، هبطت الشيطانة بكل بطء وعادت لهيئتها الطفولية الصغيرة، ولم تلبث إلى أن ركضت ناحية أبيها بكل شوق واشتياق، ولم تكن تدري بالفخ الذي أُكِيد لها، فعندما عبرت الدائرتين وأصبحت داخل النجمة الخماسية اختلَّ توازنها وسقطت وهي تستشعر بأن قوتها تُستنزَف منها بواسطة قوى أكبر منها بكثير.

وبعد مجاهدة مع الآلام والأوجاع التي آلمّت بجسدها ألقت نظرة أخيرة على والدها الذي وجدته يُمسك سكينًا مضيئًا في يديه وهو يهوي به على رأسها وهناك دمعتان سقطت منه دون إرادته، وحينها فقط ظهر ضوء رهيب أغشى الأبصار وطغى على المكان بأكمله، وبعدها عاد كل شيء إلى طبيعته

دون وجود أي أثر للفتاة ولا لأبيها ولا حتى لأمها، ولم تكن الجثة المتفحمة في منتصف الصالة سوى الفتى الذي كان يريد قضاء نزوة خبيثة، وأضحى في عداد الموتى.

بَرز بعدها الختام النهائي للفيلم، الذي فَعل بي ما لم يفعله غيره من مشاعر جياشة وإحساس رائع، لا يستشعره سوى أصحاب القلوب الشجاعة.

ولهذا السبب وفقط، نزوتي في مشاهدة أفلام الرعب لم ولن تنتهي مدى الحياة.

**تمت بحمدالله ٢٠٢٣/٥/٧**